من سخافات الوضاعين

سورة النورين

وكتاب دبستان مذاهب

للدكتور جواد علي

في كتاب فارسي طبع عدة طبعات في الهند وإيران[1] سورة دعيت سورة النورين ، زعم مؤلف الكتاب أنها من السور القرآنية التي لم يثبتها الخليفة عثمان بن عفان درجها في القرآن الكريم[2]. وقد نقل هذه السورة المستشرقون عن هذا الكتاب ومن أشهر هؤلاء المستشرق نولدكه في كتابه « تاريخ القرآن »[3] والكتاب خير مرجع لمن أراد البحث عن تاريخ الملل والنحل والمذاهب والأديان في الهند وإيران ، وبخاصة في القرن الحادي عشر للهجرة ، أي في العصر الذي عاش فيه مؤلف هذا السِّفر. على أننا لا نعرف عن مؤلف الكتاب شيئاً ؛ وكل ما نعرفه أنه عاش في مدينة « إكرا » الهندية وأنه ألف الكتاب بين سنتي ١٠٦٤ و١٠٦٧ للهجرة[1].

يستهل صاحب الكتاب كتابه بالبحث في عقائد الفرس عبدة النيران (Parsis)[2] فيفصل فيه تفصيلاً وافياً ويجيد فيه إجادة تامة . ويتناول حياة (زردشت) على الأخص بالتفصيل ويدعوه (النبي زردشت)[3] وبعد هذا البحث ينتقل إلى آراء أهل الهند ثم أهل التبت ، فيجيد في بحث الهند أيضاً ، ويتناول بالبحث بعض الفرق الهندية التي لا يعرف عن آرائها إلا النزر اليسير . وهو في بحثه هذا أشبه الناس بالبيروني أبي ريحان محمد بن أحمد (٩٧٣ — ١٠٤٨) الفيلسوف الرياضي الشهير وصاحب « تحقيق ملل الهند »[4] من حيث الطريقة في البحث والحرية في عرض الحقائق والحياد في معالجة القضايا الدينية ومناهج البحث .

المؤلف على ما يظهر راوية لما يسمع ، محدث لما يرى ، جالس علماء الطوائف المختلفة وتكلم إلى رؤساء الشيع والمذاهب ، فنقل ما سمعه نقلاً لا ندري مبلغ درجته من الصحة لجهلنا بمنزلة المؤلف ودرجته من الحق . أخذ معلوماته عن السنة من كتاب واحد هو « كتاب الملل والنحل » للعلامة الشهير أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني[5] ولعله استمد معلوماته عن بقية المذاهب الإسلامية من هذا الكتاب أيضاً ؛ غير أنه لم يذهب مذهبه في التقسيم ولم يتوسع توسعه في المعرفة بل اقتصر على معلومات عامة وخاصة تناسب الهند والحالة السياسية والإجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الزمان .

---

(١) راجع Encyclopépie de L' Islam vol 1 p 908 Catalogue of the Persian Manscripts of the Britisch Museum 1, 141

(٢) راجع دبستان مذاهب طبعة بمبي سنة ١٢٦٢ هـ ص ٢٢٨

(٣) راجع تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٢ كذلك Journal Asiatique 1842 vol 1 p, 431—439

---

* وفي ج ٧ ص ١٤٤

أثابتُ بنُ سنان ، دعوةٌ شهدت
لربها أنه ذو غلة أسِفُ

قلت : ضبطت (بن) بالضم في البيتين وإنما هي بالفتح ، ولا يجوز الضم بوجه من الوجوه . و (زياد) و (ثابت) جائز في مثلهما الضم ، والمختار الفتح ، وفي شرح الكافية ج ١ ص ١٤١ : « وقد ذهب بعضهم إلى وجوبه »

وفي شرح المفصل لابن يعيش : حق الصفة أن تتبع الموصوف الصفة ... شبه سيبويه[1] حركة الدال من زيد بحركة الراء من امرىء ، وحركة النون من ابن ، فكما أن الراء من امرىء تابعة للهمزة ، والنون من ابن تابعة للميم ، كذلك أتبعوا الدال من (يا زيدَ بنَ عمرو) النون من ابن ، لأن الصفة والموصوف كالصلة والموصول ، وانضاف إلى ذلك كثرة الاستعمال فقوي الاتحاد

---

(١) ج ١ ص ٣١٣ وشاهده قول الراجز : (يا حكم بن المنذر بن الجارود) وقول الراجز : (يا عمر بن معمر لا منتظر)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٩٥٨ أيضاً Ethé, Catalogue of the Persian 1, 1369

(٢) عن الپارسس (الفرس) راجع دائرة المعارف البريطانية Encyclopedia Britanica. The Religion of the East p, 90 f و

(٣) راجع دبستان مذاهب ص ٧٢ وما بعد .

(٤) راجع Hitti, History of the Arabs p, 377 ودائرة المعارف الاسلامية . مادة البيروني .

(٥) راجع الملل والنحل (طبعة لندن) في جزئين عن الشهرستاني راجع دائرة المعارف الاسلامية ، كذلك G, W, Thatcher, Art " Shahrastani " in Eney Clopedia of Religion and Ethics

واستمد معلوماته الشفهية عن أهل السنة والجماعة ممن اتصل بهم من العلماء أمثال « الملا عادل الكشفري الذي التقى به في مدينة لاهور عام ١٠٤٨ للهجرة ، والملا محمد معصوم الكاشغري، والملا يعقوب الترفاني وأمثالهم[١] . ويجعل المؤلف ديباجته عن أهل السنة والشيعة هذه العبارة « سمعت من ثقات أهل السنة رحمهم الله وقرأت في كتبهم وفي كتاب الملل والنحل للشهرستاني أن الرسول عليه السلام قال : « لَيَأتِيَنَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل . تفرق بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ترد عليهم ملة كلهن في النار إلا ملة واحدة . قالوا : « يا رسول الله من الملة الواحدة » قال : « ما أنا عليه وأصحابي »[٢] .

ويقسم المؤلف أهل السنة والجماعة إلى أصناف ثلاثة : معتزلة وأشعرية ومجسمة . ويتفرغ لبحث المجسمة على الأخص . فيذكر بعض حججهم واستدلالاتهم مثل قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » و « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ومثل ما روي في الحديث « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » و « خلق الله آدم على صورته »[٣] . وقد أسهب في هذا الباب إسهاباً يلفت النظر ، فالمعروف أن المشبهة أو المجسمة لم تكن إلا فئة قليلة بالنسبة إلى الأشعرية وهم غالبية السنة فلم كل هذا الإسهاب؟

وعد اليزيدية أو الأموية في عداد أهل السنة ومعلوماته عنهم لا تجلب إلى القارئ شيئاً جديداً ، ولعل بعد مساكن اليزيدية عنه حال بينه وبين الكتابة كما يجب أن يكون .

أما الطائفة الثانية من الطوائف الإسلامية فهي الشيعة، ويستهل بحثه عن الشيعة بهذه العبارة : « سمعت من علماء الشيعة بأن الشيعة هم حزب علي بن أبي طالب القائلين بإمامته »[٤] . ولم يذكر من طوائف الشيعة غير الإثني عشرية والإسماعيلية . ومرجعه عن الإثني عشرية رواية نفر من علماء الشيعة ممن كانوا يقيمون في مدينة لاهور . والظاهر أن الحديث معهم كان في عام ١٠٥٣ للهجرة[١] . وهؤلاء العلماء الذين تحدث إليهم مؤلف الكتاب ونقل عنهم هم « ملا معصوم ومحمد مؤمن تونى وملا ابراهيم، ذكر أثناء حديثه عن الإثني عشرية بعض العلماء أمثال العلامة الشيخ المفيد[٢] والشيخ الطوسي[٣] والشريف الرضي[٤] والمحدث الكليني صاحب « الكافي »[٥] وهو أشهر كتاب في الحديث لدى الشيعة الإثني عشرية ، والعلامة الحلي[٦] .

ويتكلم في موضوع انقسام الشيعة الإثني عشرية من حيث الفقه وأصوله إلى أصولية وهم غالبية الشيعة وجمهرتهم ، وأخبارية وهم القائلون بالأخبار وبقوة الحديث تجاه الرأي وبترك الأخذ بالرأي والاجتهاد . ويستند في بحثه عن الأخبارية على كتاب « الفوائد المدنية للملا محمد أمين الإسترابادي أشهر علماء الإخبارية ولسان هذا المذهب ومنظمه[٧] » .

وينتقل المؤلف إلى الغلاة من الشيعة وهم العلي اللاهية الذين يؤلهون علياً . ومن رأي المؤلف أن رجال هذه الفرقة يضيفون إلى القرآن كل ما يجدونه من كلام الإمام علي ، على أنه من كلام الله ، فما دام القرآن هو كلام الله ، وما دام الإمام علي هو الله بعينه فلم لا يجمع كلامه كله في صعيد واحد هو القرآن[٨]؟

وينفرد المؤلف بذكر فرقة إسلامية لم تعرف في كتاب آخر سماها « الصادقية » أو « المسيلمية » أتباع مسيلمة الذي يلقبه المسلمون بلقب « مسيلمة الكذاب » ويدعي بأنه رأى هذه الفرقة

(١) دبستان مذاهب ص ٢٢٣ ومواضع أخرى .

(٢) هنالك خلاف بين العلماء في منطوق هذا الحديث وفي صحته وعدم صحته . وقد جاء في أغلب كتب علم الكلام . راجع الشهرستاني ج ١ ص ٤ والمقريزي ج ٢ ص ٣٤٥ وفرق الشيعة للنوبختي ص ٣ والبغدادي ص ١٤ وغيرها .

(٣) راجع دبستان مذاهب في بحث المجسمة .

(٤) دبستان مذاهب ص ٢٢٦ .

(١) نفس المصدر .

(٢) المفيد محمد بن محمد بن النعمان مات سنة ٤١٣ للهجرة راجع عنه الفهرست للطوسي . النجف سنة ١٩٣٧ . رجال العلامة الحلي (طهران سنة ١٣١٢) وبحار الأنوار .

(٣) الطوسي شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى عام ٤٦٠ للهجرة . راجع الفهرست للطوسي (طبعة النجف ١٩٣٧) له كتابا التهذيب والاستبصار في الحديث من الكتب المعتبرة عند الشيعة وكتب أخرى .

(٤) الرضي الشريف محمد بن الحسين نقيب العلويين ببغداد توفي سنة ٤٠٦ للهجرة . إتقان المقال ص ١٢٢ .

(٥) صاحب الكافي مات سنة ٣٢٨ هـ إتقان ص ١٣٥ .

(٦) دبستان ص ٢٣١ — راجع عن الحلي توفي سنة ٧٢٦ للهجرة (١٣٢٥ م) Brown Literary History of Persids part 4 p, 405 Donaldson, the Shi'ite Relig on London 1933 p, 296 راجع كتاب الرجال للعلامة جمال الدين بن يوسف بن مطهر الحلي . وكتبه الأخرى .

(٧) دبستان ص ٢٣١ وما بعد . (٨) دبستان ص ٢٤٦ .

فى مشهد من أعمال خراسان عام ١٠٥٣ للهجرة ، وأنه شاهد عالم هذه النحلة « محمد قلى » ؛ وقد أخبره هذا العالم على ما يدعيه مؤلف الكتاب بأن مسيلمة الذى يلقبه المسلمون زوراً بلقب الكذاب إن هو إلا نبي مرسل وشريك محمد رسول الله فى الرسالة[١].

ولمسيلمة هذا كتاب سماوى يضاهى القرآن ويحاكيه على حد تعبير إمام هذا النحلة اسمه « الفاروق » لأنه يفرق بين الحق والباطل، وهو «الفاروق الثانى» ؛ أما الفاروق الأول فهو « الفرقان» أو « القرآن ». وقد جاءت فى « فاروق » مسيلمة آخر أحكام الله ونواهيه ، لذلك فهو خاتم الكتب السماوية ، كما أن مسيلمة هو خاتم الأنبياء والمرسلين[٢].

ويزعم مؤلف الكتاب أن زعماء الصادقية يعرفون كتاب « الفاروق » ويحفظونه ، وأن رئيسهم كان يحفظ هذا الكتاب القدس، وأنه أخذه عن أجداده فأجداد أجداده إلى مسيلمة . وهو يفتخر بانتسابه إلى سلالة تشرفت بخدمة مسيلمة وقامت بواجب التعظيم لنبي مرسل ولكنه لم يذكر ولا آية واحدة من آيات هذا الفاروق على خلاف عادته فى ميله إلى ذكر الغريب[٣].

وتأخذ طرق « الصوفية » و « الإشراقية » و « الحكماء » مقلا طويلا من كتابه ، فهو يبحث فى فرقها حتى ينتهى الكتاب . ومن الطرق الغريبة طريقة « الواحدية » الذين يقولون بوحدة الجسد والروح . فهم فى هذا على مثال القائلين بالطبيعة الواحدة فى المسيح[٤] . ومؤسس هذه الطريقة هو « محمود » من قرية « مسجوان » إحدى قرى كيلان ، وقد ظهرت دعوته عام ٦٠٠ للهجرة[٥].

ومحمود هذا على زعم «الواحدية » هو المقصود بقوله تعالى: «عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»[٦] وقد مزج أصحابه بين الفلسفة اليونانية وبين الصوفية الهندية الإيرانية ، وبين علم النجوم وأحكام الدين حتى تولدت من هذا المزيج الغريب « نحلة سطية » لا هى مسيحية ولا هى إسلامية ولا هى شرقية بحتة ، بل هى وسط بين هذا وذاك أكلها علماؤهم على مر السنين، وتبايت كلما قدم العهد عليها ، أمثال « درويش اسماعيل » و « ميرزا تقى » و « شيخ لطف الله » و « شيخ شهاب »[١].

وللواحدية كتاب اسمه « الميزان » يتألف من رسائل فيها علوم الأولين والآخرين منذ يوم الخليقة إلى يوم يبعثون ، فيها الغيبيات والنبوآت وكل ما يحتاج إليه الإنسان . وأهم ما فى هذا الكتاب هو أن دين العرب سيدوم ثمانية آلاف سنة لأن برجه « الثريا » ، ثم ينطوى ذلك الدور ويأتى بعده دور العجم حيث يدوم نفس هذا المقدار[٢].

وكانت للواحدية عصبة اتخذت لها مدينة « أصفهان » فى إيران مقراً وكانت لها جماعة وأنصار ، وقد زارها مؤلف الكتاب ووجد لها دعاة فى تلك المدينة ، ولكن الشاه عباس الصفوى ابن الشاخدابنده قضى على هذه الجماعة ونكّل بها حتى لم تبق لها بقية على ما يراه مؤلف الكتاب .

* * *

لم يعرف عن مؤلف الكتاب شيء ، وقد أجهد المستشرقون أنفسهم للتعرف على هذا المؤلف ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة حاسمة حتى الآن . وكان أول من عرّف هذا الكتاب إلى الأوربيين هو المستشرق الفرنسى « دى تاسى » (Garcin de Tassy)[٣] ، ثم ترجم إلى اللغة الإنكليزية ، ترجمه المستشرق الإنكليزى « كلادوين » (Gladwine) بعنوان «The School of Manners» ولم تكن ترجمته ترجمة صحيحة مضبوطة فأكلها « داود شى » (David Shea) ، ثم « أنطون تريير » (Anton Trayer)[٤].

وذهب المستشرقون إلى أن مؤلف الكتاب هو رجل يدعى « محسن فانى » لما جاء فى مقدمة بعض الطبعات : « يقول محسن فانى »[٥] ولعله الشيخ محسن فانى الكشميرى المتوفى عام ١٠٨١ للهجرة أو ١٠٨٢ . ولهذا الشيخ مؤلف اسمه « مصدر الآثار مثنوى » وهو شعر على طريقة المتصوفة كتبه سنة ١٠٦٧ للهجرة .

(١) دبستان ص ٢٤٦ وما بعد عن مسيلمة ، راجع الطبرى وابن الأثير وسيرة ابن هشام وابن كثير الشامى ثم Muir, the life of Muhamned

(٢) دبستان ص ٤٧ .

(٣) دبستان ص ٢٣٨ وما بعدها .

(٤) راجع J M Robertson a short history في مختلف الفصول أيضا Encyclopaedia of Religian and Ethics 1918 of christianity

(٥) دبستان ص ٢٣٩ وما بعد .

(٦) دبستان ص ٢٥٠ .

(١) دبستان ص ٢٥١ .

(٢) دبستان ص ٢٥١ .

(٣) Journal Aciatigue 1842 Tome I 431 .

(٤) Pertsch P, 271 nr 229 Zeuker nr 802 Rieu, Catalogue of the Persian manuscripts of the Britisch museum I, 141

(٥) نفس المصادر وتاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ وما بعد و Troyer Dayeld Schea the Dabistan 1843 .

وتوجد نسخة منه فى مكتبة إدارة الهند[١].

ولعل أهم ما لفت أنظار المستشرقين إلى هـذا الكتاب هو وجود سورة سماها المؤلف « سورة النورين » نزلت فى الإمام على وذريته من بعده . رغم أن الشيعة يعتقدون بأنها من السور القرآنية التى حذفها الخليفة عثمان بن عفان[٢]. وقد نشرت فى المجلة الآسيوية (Journal Asiatique)[٣] ثم نشرت فى كتاب « تاريخ القرآن »[٤] .

ولا يذكر المؤلف اسم المصدر الذى استقى منه هذه السورة ، ولا الكتاب الذى اعتمد عليه ، ولا الشخص الذى روى عنه سورة النورين . ولم أعثر حتى الآن على مصدر شيعى قديم أو حديث يعرف هذه السورة أو أشار إليها ولو إشارة بسيطة . ولو كانت هذه السورة موجودة حقاً لما ورع المؤلفون عن ذكرها والاستشهاد بها كما فعلوا فى الاستشهاد بمواضع من آى الذكر الحكيم ، وبالأحاديث المروية عن الرسول فى تأييد وجهة نظرهم إلى إمامة الإمام[٥] . أما السورة المزعومة فهى هذه :

سورة النورين

بسم الله الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين ، أنزلناهما يتلوان عليكم آياتى ويحذرانكم عذاب يوم عظيم . نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم . إن الذين يوفون بعهد الله ورسوله فى آيات لهم جنات نعيم . والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون فى الجحيم . ظلموا أنفسهم وعصوا لوصى الرسول أولئك يسقون من حميم . إن الله الذى نوّر السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين . أولئك من خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذتهم بمكرهم إن أخذى شديد أليم . إن الله قد أهلك عاداً وثمودَ بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون . وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون . إن الله يجمعهم يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون . إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم . يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون . قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحكمى معرضون . مَثَلُ الذين يوفون بعهدك إلى جزيتهم جنات النعيم . إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم ، وإن عليًا لمن المتقين . وإنا لنوفيه حقه يوم الدين . وما نحن عن ظلمه بغافلين . وكرّمناه على أهلك أجمعين . وإنه وذريته لصابرون . وإن عدوهم إمام المجرمين . قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون . يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفه مؤمناً ومن يتوله من بعدك يظهرون . فأعرض عنهم إنهم معرضون . إنا لهم محضرون فى يوم لا يغنى عنهم شيئاً ولا هم يرحمون . إن لهم فى جهنم مقاماً عنه لا يعدلون . فسبح باسم ربك وكن من الساجدين . ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا عليهم فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولنمتّعهم إلى يوم يبعثون . فاصبر فسوف يُبلون[١] . ولقد آتيناك الحكم كالذين من قبلك من الرسلين . وجعلنا لك منهم وصيًا لعلهم يرجعون . ومن يتولى عن أمرى فإنى مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين . يا أيها الرسول قد جعلنا لك فى أعناق الذين آمنوا عهداً فخذه وكن من الشاكرين . إن عليًا قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه ، قل هو يستوى الذين ظلموا وهم بعذابى يعلمون . سيجعل الأغلال فى أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون . إنا بشرناك بذرية الصالحين . وإنهم لأمرنا لا يخلفون . فعليهم منى صلاة ورحمة أحياء وأمواتاً ويوم يبعثون . وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبى إنهم قوم سوء خاسرين . وعلى الذين سلكوا مسلكهم منى رحمة وهم فى الغرفات آمنون . والحمد لله رب العالمين آمين[٢] .

جواد على

---

(١) Catalogue of the Persian manuscripts of the Library of the India office gol 11, 1934 - p, 1071 .

(٢) دبستان مذاهب ص ٢٢٨

(٣) Journal Asiatipne 1842 vol 1 P, 431 و 1843 vol 2 P, 414 .

(٤) تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ وما بعد .

(٥) راجع كتب الشيعة المعتبرة أمثال الكافى لمحمد بن يعقوب الكلينى (طهران ١٢٨١) ومن لا يحضره الفقيه . وبحار الأنوار للملا باقره المجلسى (طهران ١٣١٠) فى ٢٦ مجلداً وشرح اللمعة . وكتاب الارشاد للعلامة المفيد وغيرها .

---

(١) فى دبستان المذاهب فسوف يبصرون وفى نولدكه تاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠١ فسوف يبلون .

(٢) دبستان مذاهب (طبعة بمبى) ص ٢٢٨ — ٢٢٩ و Journal Asiatipne 1842 vol 1 P, 431 و 1843 vol 2 P, 414 وتاريخ القرآن ج ٢ ص ١٠٠ — ١٠١ .